الفصل السابع

بين الاغتيال .. والسجون والزعامة السياسية

obeikandl.com

إذا كانت المرأة المصرية بشكل خاص ، والمرأة العربية بشكل عام قد فشلت حتى كتابة هذه السطور فى أن تكون زعيمة سياسية تحت أى معيار من المعايير ، ولم تتمكن من الوصول إلى منصب اتخاذ القرار السياسى . .

أقول إذا كانت المرأة العربية قد عجزت تماماً عن الوصول إلى هذا المنصب . . فإن نظيرتها الإفريقية و الآسيوية والأوربية قد تمكنت ـ وبإصرار ـ من الوصول إلى أعلى المناصب السياسية ، ونجحت فى تولى الزعامة السياسية وسط دهشة وتأييد الرجل الذى انحنى لها احتراماً وتقديراً .

ولبيان خطوات المرأة الآسيوية الأوربية والإفريقية على هذا الطريق خصصنا هذا الفصل والفصل الذى يليه للحديث عن المرأة والزعامة السياسية ، وحاولنا أن نجمع بين هؤلاء الزعيمات وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية التى أحاطت بهن ، ودفعتهن إلى دخول الملعب السياسى . واخترنا لحديث هذا الفصل النساء الآسيويات اللائى نجحن فى مناصبهن السياسية كزعيمات ، ولكن تحت ظروف مناسبة متشابهة ، تمثلت فى القتل أو الاغتيال ، للأب أو الزوج أو الجد ! . وكانت هذه الحوادث المفجعة دافعاً قويًّا لتولى المرأة المنصب السياسى وفقاً لرغبة الشعب الذى يرى فيه تعويضاً مهمًّا من أجل مواصلة قيادته سياسيًّا تحت برنامج حزب معين ، أو سياسة ناجحة يأمل الشعب فى أن تستمر بعد حادث القتل أو الاغتيال .

والشىء الملفت للنظر ، أن كل الزعيمات السياسيات اللائى مارسن الحياة

السياسية بنجاح واقتدار قد خرجن من عباءة الزوج أو الأب . وتتضح هذه الظاهرة جليًّا فى قارتى آسيا وإفريقيا ، حيث نجد أن أغلب النساء الزعيمات السياسيات قد اضطررن إلى دخول الملعب السياسى لمواصلة المسيرة نزولاً على إرادة الشعب . ماعدا السيدة الراحلة « أنديرا غاندى » رئيس وزراء الهند السابقة ، والتى ـ وإن كانت قد دخلت الملعب السياسى ، من عباءة والدها فإنه ـ لم يكن لدخولها هذا علاقة بأى حادث من حوادث القتل أو الاغتيال . . مثلما حدث لغيرها من الزعيمات السياسيات الأخريات أمثال « سيراما فو بندرانيكة » أول زعيمة سياسية فى العالم ، وفى قارة آسيا ، وأول رئيس وزراء لدولة « سيرلانكا » بجزيرة « سيلان » . . والسيدة «بنازير بوتو » رئيس وزراء باكستان السابقة ، وزعيمة حزب الشعب الباكستانى . والسيدة « خالدة ضياء » زعيمة الحزب الوطنى البنغالى فى « بنجلاديش » ، وكذلك السيدة « حَسينة مجيب الرحمن » زعيمة المعارضة السياسية فى دولة « بنجلاديش » أيضاً السيدة «كورازون أكينو رئيس الفلبين السابقة . والسيدة وينى مانديللا زوجة الزعيم نلسون مانديللا رئيس جنوب إفريقيا الحالى ورئيس حزب المؤتمر .

إن السمة المشتركة التى جمعت بين كفاح هؤلاء الزعيمات فى كل من آسيا وإفريقيا داخل الملعب السياسى هى أن طريقهن إلى كرسى الزعامة والحكم كان مفروشاً بالدم الذى نتج عن حوادث القتل والاغتيالات وظلام السجون وكان عليهن أمام إلحاح الجماهير ضرورة استكمال المسيرة السياسية بعد مقتل الزوج أو الأب .

وبرغم أن هذه الزعامات قد نشأت وسط حوادث القتل والاغتيال فإن المتتبع الواعى لقصة وصولهن إلى الحكم يجد من الصعوبة إثبات شبهة انتقام أية امرأة منهن ضد مرتكبى أعمال العنف التى أدت إلى مثل هذه الحوادث بشكل جماعى ؛ لأن المرأة التى اختيرت زعيمة سياسية فوق جثة الزوج أو الأب لم تسع قط للانتقام إلا من هؤلاء الذين تعمدوا الوقوف ضد مسيرة الديمقراطية والشرعية السياسية ، وحاولوا إنهاء هذه الشرعية بالرصاص والمدافع .

ومن السمات المشتركة الأخرى لهؤلاء النسوة الزعيمات، أنهن ـ بعد النجاح فى انتخابات الزعامة ـ يسعين بجدية نحو الوصول بالبلاد إلى بر الأمان ، من خلال تدعيم

المسيرة الديمقرطية وإنهاء حكم الفرد الذى يتسم بالديكتاتورية البغيضة ، وكذلك القضاء على الحكم العسكرى الذى اتضح من خلال تجارب هذه الشعوب أنه يقف وراء كل فساد فى داخل أى دولة من هذه الدول التى أفسحت جماهيرها الطريق نحو اكتساح شعبية المرأة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نحاول أن نجمل بعضها : ففى «باكستان » مثلاً بعد نجاح السيدة « بنازير بوتو » فى انتخابات الأحزاب السياسية هناك وتوليها الحكم رأت أن من أهم واجباتها فور توليها المسئولية إعادة الديمقراطية إلى باكستا بعد ١١ عاماً من الحكم العسكرى الذى أدى إلى تكبيل الحياة السياسية فى بلادها ، بل وسعت بكل مالديها من حكمة ومسئولية من أجل أن تجعل بلدها الإسلامى باكستان دولة قوية ومتحدة وآمنة .

وهذه سيدة أخرى . . إنها « مسز بندرانيكة » التى سارعت إلى تشكيل لجنة مشتركة من مجلس الشيوخ والنواب فى عام ١٩٦١ لتعديل الدستور السيلانى وإعلان الجمهورية .

أما السيدة « خالدة ضياء الدين « فقد أعلنت فور فوزها بالزعامة السياسية فى دولة بنجلاديش أنها عازمة على تحقيق شعارها الذى رفعته خلال حملاتها الانتخابية ، والذى نادت فيه « بالديمقراطية والأرز للجميع » فى دولة ينحشر فيها ١١٠ ملايين نسمة ، ويسكنون مساحة ١٤٤ ألف كيو متر ، ويعيش أكثر من ٥٠٪ من هؤلاء السكان تحت خط الفقر ، بجانب الكوارث الطبيعية التى تطل برأسها على هذا البلد من آن لآخر .

وهناك مثال آخر على إحساس المرأة الزعيمة بضرورة تحقيق أحلام الأمان والاستقرار لشعوبها . . وهو ما حدث فى الفلبين ، وما قامت به من إصلاحات السيدة « أكينو التى يحلو لشعبها أن يناديها بلقب « القديسة » . . أو « مسز كورى » هذه السيدة استطاعت الإطاحة بالديكتاتورية الفردية التى تمثلت طويلاً فى حكم الإمبراطور «ماركوس » دون حوادث عنف أو قتال . . وسعت بعد رحيله إلى تدعيم الديمقراطية البرلمانية فى بلادها ، وأشاعت مناخ الحرية وسط مواطنيها بشكل لم يسبق للفلبين أن عرفته منذ سنوات طويلة ، كما سعت إلى إجراء انتخابات تشريعية حرة ، وانتخابات

بلدية نزيهة ، هذا بالإضافة إلى العمل على إنعاش الاقتصاد الفلبينى حتى بلغت نسبة الزيادة فيه عام ١٩٩٠م ٥٪ عن العام الذى كانت فيه خارج الحكم .

●●●

ومادمنا الآن نتحدث عن المرأة الآسيوية ودورها داخل الملعب السياسى . . فقد يتساءل البعض عن سبب إغفالنا لدور السيدة « أنديرا غاندى » باعتبارها من الزعيمات السياسيات الآسيويات المشهورات فى هذا الميدان ، هذا الإغفال من جانبنا قد تم عن عمد لاعتبارات عديدة . . أهمها أن السيدة « أنديرا غندى» وصلت إلى منصب الزعامة السياسية فى بلادها بعيداً عن العنف والقتل وحوادث الاغتيالات ، وأنها قد سعت إلى هذه الزعامة منذ نعومة أظافرها ، وكرست كل حياتها منذ طفولتها وحتى أيام شبابها لخدمة جماهير الحزب الذى انضمت إليه صغيرة ، ثم تحولت من مجرد عضو فى أحد الأحزاب الهندية إلى زعيمة لهذا الحزب ، ثم زعيمة لبلادها .

لهذا كله ـ ولغيره مما سوف نعرفه فى حينه فى الفصل القادم ـ فضلنا أن نتحدث عن الزعيمة « أنديرا غندى » عند حديثنا عن الزعامة السياسية والشرعية ، مثلما سوف نتحدث عن السيدة « تاتشر » وغيرها من نساء العالم داخل الملعب السياسى وفقاً لمعاير الشرعية ورغبة الجماهير .

إن السيدة الراحلة « أنديرا غاندى » ـ وفقاً لمعالم خطوط حياتها السياسية ـ تشبه إلى حد كبير مشوار حياة رئيس وزراء انجلترا « المرأة الحديدية » التى قضت أكثر من أحد عشر عاماً فى حكم بريطانيا ، وجاءت إلى كرسى الوزارة ورئاستها بعدما تدرجت كثيراً فى المناصب الحزبية والسياسية .

هذا التشابه الكبير بين « أنديرا غاندى » وبين غيرها من نساء العالم الديمقراطى المتحضر الذى أفسح المجال أمام المرأة ، جعلنا نخصص لهن فصلاً مستقلاً ، فيه حديث عن ديمقراطية المرأة الزعيمة فى العالم ، وكيف تقدمت الصفوف بنجاح مبهر فى ميدان العمل السياسى الحزبى على مستوى القاعدة والجماهير ، الأمر الذى هيأ لها الطريق كى تكون زعيمة سياسية من الطراز الأول ، برغم أن « أنديرا غاندى » بحكم

التقسيم السياسى الحديث تنتمى إلى مجتمع من مجتمعات العالم الثالث ، بخلاف دول مثل بريطانيا ، وأيرلندا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وفرنسا . .

ونلاحظ أن مستوى الديمقراطية فى البلاد الآسيوية والأمريكية الجنوبية التى نجحت فيها المرأة داخل الملعب السياسى ، يندرج تحت المستوى الثالث ، الذى يتسم بالبدائية أو الانعدام ، إلا من الصور التى يعكف كثيرٌ من حكام هذه البلاد على استخدامها بأى شكل من الأشكال التى تتدرج تحت اسم الديمقراطية ، من أجل تزيين فترات حكمه ، وكى تجعله يبدو أمام العالم وكأنه رجل يطبق الديمقراطية !! .

والأمثلة كثيرة على هذا ويعرفها جميعنا ، سواء فى مجتمعنا العربى أو الإفريقى أو غيره من المجتمعات الأخرى .

وفى كل مرة يسقط فيها مثل هذا النوع الزائف من الحكم ـ خاصة فى قارة آسيا ـ نجد أن الشعوب تسارع لاختيار المرأة من أجل مواصلة مسيرة الحياة السياسية النظيفة، بعيداً عن الزيف وأشكال الديكور الديمقراطى داخل هذا النظام السياسى الوليد .

إنه اختيار مثير ويدعو للدهشة ، ويستحق العديد من الأبحاث والدراسات ، وهذا ماحدث بالضبط فى كلٍّ من باكستان وبنجلاديش وسيرلانكا والفلبين .

ففى باكستان وعد الجنرال ضياء الحق بعد قيامه بساعات بانقلابه العسكرى عام ١٩٧٧ بإجراء انتخابات جديدة . ولم يف بوعده لرئيس وزرائه « ذو الفقار على بوتو» الذى سرعان ما أودعه السجن ثم أعدمه شنقاً عام ١٩٧٩ .

ومن بعدها حكم ضياء الحق « باكستان » بالحديد والنار ، حيث فرض الأحكام العرفية لمدة ٨ سنوات حتى عام ١٩٨٥ . . وبعدها بخمسة أشهر ـ وبالضبط فى أبريل عام ١٩٨٦ ـ قرر إنهاء الأحكام العرفية ، وسمح بتشكيل برلمان على أساس غير حزبى ، بعد أن قاطعت أحزاب المعارضة هذه الانتخابات . وفى ٢٩ من مايو من نفس العام قام بحل هذا البرلمان ، وكذلك المجالس التشريعية فى مقاطعات «باكستان » الأربع ، بعد أن اتهمها بالفساد ، وإخفاق رجال حزبه الحاكم ، وهو

حزب رابطة مسلمى باكستان فى تطبيق الشريعة الإسلامية التى طلبها ، كما دعا إلى إجراء انتخابات فى ١٦ من نوفمبر عام ١٩٨٨ ، وعلى أساس غير حزبى أيضا أى بدون مشاركة الأحزاب السياسية ولكن تدخل القدر ولقى الجنرال ضياء الحق مصرعه فى حادث غامض إثر تحطم طائرته فى ١٧ من أغسطس عام ١٩٨٨ وجرت الانتخابات فى موعدها فى ١٦ من نوفمبر من نفس العام لاختيار أعضاء البرلمان القومى، وعددهم ٢١٧ عضواً، ولكن بمشاركة جميع الأحزاب السياسية ، بما فيهم حزب الشعب ، العصب الرئيسى لحركة استعادة الديمقراطية ، والذى كانت تتزعمه السيدة « بنظير بوتو » وكانت هذه أول انتخابات تشهدها باكستان منذ ١١ عاماً .

وفى « بنجلاديش » الجارة العزيزة على « باكستان » حدث نفس الشىء ، وإن كانت رتوش الصورة مختلفة من حيث نوع الأشخاص والأحداث . لقد لعبت المرأة الدور الرئيسى من أجل إزاحة كابوس الديكتاتورية العسكرية التى تمثلت طويلاً فى حكم حسين إرشاد .

لقد جاءت الانتخابات الحرة فى « بنجلاديش » بعد نجاح « الشيخة خالدة » فى الانتخابات ، وتحالفت معها « الشيخة حسينة واجد » زعيم حزب رابطة عوامى فى إسقاط الديكتاتورية فى شهر ديسمبر عام ١٩٩١ . فقبل الإطاحة بالرئيس « إرشاد » بشهرين اتحدت المرأتان ضد الديكتاتور ، حيث ألقتا بخلافاتهما الطويلة فى هوة سحيقة ، واتخذتا فى طريقهما خلال هذا الكفاح شعار : « قُـمْ وقُلْ : لا ، واصْـرُخ يتزلزل عرش الطاغية » . وبالفعل حدث ما يشبه الثورة الشعبية ، وهوت النجوم المحترقة على رأس « إرشاد » ، وتكشفت فضائحه وسرقاته ، حيث بلغ ما نهبه من شعب « بنجلاديش » ما يقرب من عدة ملايين ! .

وعندما أُعلنت نتائج الانتخابات وفاز حزب « الشيخة خالدة » بـ ١٤٠ مقعداً من مقاعد البرلمان ، البالغ عددها ٣٠٠ مقعد ، ومن ثم أصبح الحزب صاحب الأغلبية . عندئذ انطلق صوتها مرددا : « أنا سعيدة بهذه النتائج ، ولولا سوء التنظيم لحققنا فوزاً أكبر» .

أما فى سيرلانكا ـ جزيرة سيلان المقدسة ، والشاى اللذيذ ـ فإن الأمر يختلف

كثيراً . . حيث كانت الديمقراطية الوليدة فى طريقها إلى النمو على يد المستر « سلومون بندرانيكه » ، الذى تولى رئاسة الوزارة السيلانية فى أبريل عام ١٩٥٦ بعد فوز حزب الحرية الذى كان يتزعمه بأكبر عدد من مقاعد مجلس النواب عقب إجراء الانتخابات العامة .

وقد قام « المستر بندرانيكة »فى مستهل حكمه بالعديد من الخطوات الهامة لتحسين مستوى المعيشة المدنية والسياسية ، غير أن القدر لم يمهله لا ستكمال مسيرة الديمقراطية فى بلاده ، فقد اغتاله راهب بوذى فى ٢٥ من سبتمبر عام ١٩٥٩ ، إذ أطلق عليه الرصاص وهو يمد يده كى يصافحه . . وهو يستقبله فى منزله .

وبرغم أن اغتيال « مستر بندرانيكه » قد أدى إلى اضطراب شديد فى صفوف الحزب الحاكم بالبلاد ، وهو حزب الحرية ، حيث كان من المفروض ـ ووفقاً للتقاليد البرلمانية فى مجلس النواب ـ انتخاب المستر « س . ب دى سيلفا » ولكنه كان مريضاً . . لهذا اضطر الحزب إلى تعيين غيره من بين هيئة الوزارة التى كانت مؤلفة آنذاك ، فوقع الاختيار على المستر « دهانايكا » وزير التعليم ، الذى اتسمت فترة حكمه بالاستبداد والرغبة فى التخلص من زملائه فى حزب الحرية .

وقد أوقعه حظه العاثر فى تأليف حكومة انتقالية وليست حزبية ، قررت حل البرلمان وإجراء انتخابات عامة فى البلاد فى مارس عام ١٩٦٠ .

وحاول أن يعود إلى الحكم فأنشا حزباً جديداً له ، وخاض به الانتخابات العامة ضد حزب الحرية وزعيمته السيدة « باندرانيكه » التى تولت الزعامة بعد مقتل زوجها رئيس الوزراء الراحل ، ولم يفز الحزب الجديد حتى بمقعد واحد فى البرلمان ، وفازت السيدة « باندرانيكه » بالأغلبية الساحقة فى الانتخابات التكميلية التى جرت فيما بعد فى نفس العام فى يوليو عام ١٩٦٠ . عندئذ ألفت السيدة « باندرانيكه » وزارة حزب الحرية الثانية التى اعتبرتها استمراراً لسياسة وزارة الحزب الأولى برئاسة زوجها الراحل المستر « سلومون بندرانيكه » .

وحين نتوقف عند التجربة الديمقراطية فى « الفلبين » أيام الديكتاتور « ماركوس»

نجد أنها شيء مختلف تماماً من حيث كونها ديكتاتورية قامت على حكم الفرد الواحد وعائلته ، دون النظر إلى مصلحة الشعب ، إلى درجة إقدامه على اغتيال معارضيه . . وعلى رأسهم الزعيم « نينو أكينو » الصحفى الفلبينى الذى قاد لواء المعارضة ضد الديكتاتور وزوجته السيدة « أكينو » التى أصبحت فيما بعد رئيس الفلبين بعد رحيل الديكتاتور .

لقد ظل زعيم المعارضة يحلم بالحرية والديمقراطية منذ أن أصبح أصغر عمدة فى تاريخ الفلبين وهو فى سن التاسعة والعشرين ، ولكن هذه الأحلام تبددت وتبخرت فى سماء الديكتاتورية ؛ إذ أقدم الإمبراطور « ماركوس » على اعتقال زعيم المعارضة عام ١٩٧٣ ، وأمر بسجنه لمدة ثمانى سنوات . وفى عام ١٩٨١ وبمناسبة زيارة البابا للفلبين أُلغيت الأحكام العرفية ، وأُفرج عن « نينو أكينو » . . الذى خرج من السجن مصاباً بالقلب مما استدعى سفره العاجل إلى أمريكا لإجراء جراحة عاجلة له، وصاحبته زوجته فى هذه الرحلة ، وأمضت هناك مسز كورى ثلاث سنوات بجواره فى مدينة بوسطن .

وفى ٢١ من أغسطس عام ١٩٨٣ عاد زعيم المعارضة « نينو أكينو » إلى الفلبين ليُقتل وهو يهبط سلم الطائرة ، ومات دون أن يمس أرض وطنه الفلبين . وعندما بدأت الهتافات تنتشر فى شوارع الفلبين تنادى باسم « كورازون » . . سارع ماركوس باللجوء إلى الجيش الذى استعان به لضرب المتظاهرين ، لكن محاولاته باءت بالفشل ، فقد تجمع فى شوراع الفلبين ملايين من البشر ينادون باسمها كتجسيد للحرية ، وبداية صحيحة على طريق الديمقراطية . وكسبت كورى معركتها الأولى من أجل ثورة سلمية نادرة وقعت فى إحدى دول العالم الثالث . .

إن ظهور مثل هذه الزعامات النسائية جعل قارة آسيا بصفة خاصة تتمتع بظاهرة جديدة تفوق مالدى سكان العالم الأول والثانى ، بالإضافة إلى مالدى هذه القارة من غرائب وعجائب . . لقد أصبحت قارة آسيا متفردة فى وضعها على مستوى بلدان

العالم الثالث فى قيام المرأة بدور سياسى بارز ، حيث قادت المرأة هناك مجتمعها إلى الحرية السياسية ، وساعدت فى التخلص من الحكام العسكريين الطغاة ؛ من أجل ذلك كان لزاماً علينا تناول هذه التجارب ، والوقوف على خطوات هذه المرأة أو تلك ، ومافعلته من أجل شعبها ، الأمر الذى من أجله سلم لها قيادته ووافق على أن تقوده وتتزعمه سياسيًّا . ولسوف نسلك فى تتبعنا لهذه التجارب الديمقراطية التى تقف على أبوابها المرأة طريق التسلسل التاريخى لدور كل امرأة داخل القارة الآسيوية بالإضافة إلى ذلك سوف نقف على أحد التجارب النسائية فى قارة إفريقيا والتى تمثلها تمثيلا صادقا « وينى مانديلا » .

■■ أول زعيمة فى العصر الحديث
لم ترشح نفسها فى الانتخابات

حين يصل اقتناع الجماهير مداه بدور المرأة سياسيًّا ، يرفعونها إلى مصاف الزعماء ، ويكون دافعهم الأول نحو هذا الاقتناع هو ماعرفوه عن شخصية هذه المرأة التى سوف تقودهم ، والدور الذى يمكن أن تلعبه من أجل تحسين مسار حياتهم اجتماعيًّا واقتصاديًّا ، بالإضافة إلى ما يتطلعون إليه فى مجال الديمقراطية السليمة ، والتى تمثلها حرية الأحزاب فى اختيار ممثلين جادِّين عن الشعب . وقد يمتد هذا الاقتناع بالنسبة للجماهير على المستوى الحزبى ، إذ يفضل زعماء هذا الحزب أو ذاك اختيار من تقودهم من النساء باعتبارها الأقدر على تحمل مسئولية هذه القيادة داخل الحزب ، وعلى مستوى الجماهير .

وهذا بالضبط ينطبق على اختيار زعماء حزب الحرية فى « سيريلانكا » للسيدة «بندرانيكه » كى تتولى زعامة هذا الحزب ، ليس كما يعتقد البعض وفاء لزوجها الذى اغتيل فى قمة نجاحه السياسى ، وإنما يرجع فى الأصل بجانب ذلك إلى دورها السياسى العريق فى مساندة الزوج ومساعدته من أجل الإقدام على تدعيم المسيرة الديمقراطية لإسعاد جماهير الشعب وأعضاء الحزب أيضاً .

لقد لجأ زعماء حزب الحرية يلتمسون من السيدة « بندرانيكة » قبول زعامة الحزب

لإنقاذه من الهزيمة فى الانتخابات العامة التالية ، التى كان من المقرر لها أن تجرى فى يوليو عام ١٩٦٠ .

وبعد تردد طويل قبلت « بندرانيكة » زعامة الحزب ، وخاضت بنفسها المعركة الانتخابية ، وألهبت حماس جماهير الشعب السيلانى ، حيث طلبت إليهم فى خطاب ملتهب وحماس شديد أن يعطوها الفرصة كى تكمل الأعمال التى بدأها زوجها الراحل لصالح الشعب ، ولكى ترى بنفسها أن العدالة تأخذ مجراها فى معاقبة الذين اغتالوا زوجها[١] . على أن السيدة « بندرانيكة » لم تشأ حين قبلت زعامة الحزب أن ترشح نفسها فى دائرة انتخابية بعينها ، وإنما آثرت أن تخوض المعركة الانتخابية لصالح الحزب كله ، فطافت بجميع أنحاء الجزيرة لتأييد مرشحى الحزب ، . وحث الناخبين على الإدلاء بأصواتهم .

ورغبة من حزب الحرية ورئيسه السيدة « بندرانيكه » فى ضمان الفوز فى هذه الانتخابات ، عُقد اتفاق بعدم التنافس مع الأحزاب الأخرى . وبناء على ذلك أُجريت الانتخابات العامة ، وبالفعل أسفرت عن فوز حزب الحرية بسبعة وسبعين مقعداً من مجموع مقاعد مجلس النواب ، وعددها ١٥١ مقعداً ، وكانت هذه النتيجة ساحقة ، لم يسبق أن حصل عليها حزب الحرية من قبل . وبناء على هذه النتيجة شكلت السيدة « بندرانيكه » حكومة حزب الحرية الثانية . ثم تم تكليفها بتشكيل الوزارة الجديدة ، عندئذ أُثيرت داخل البرلمان مشكلة خطيرة ، هددت بقاء السيدة «بندرانيكه » فى الحكومة ، وهى أن رئيس الوزراء الجديدة والفائزة فى الانتخابات العامة لم تكن منتخبة انتخاباً مباشراً فى دائرة معينة ؛ ولذلك فهى ليست من أعضاء مجلس النواب ، والدستور السيلانى ينص على أن يكون أعضاء الوزارة من بين أعضاء مجلس النواب أو الشيوخ ؛ لذا كان لزاماً على مسز « بندرانيكه » تصحيح هذا الوضع ، ولم يكن هناك مفر من اضطرار أحد أعضاء حزب الحرية أن يتخلى عن مقعده فى مجلس الشيوخ كى تشغله بندرانيكة رئيس الوزراء . وكانت هذه أول مرة منذ

---

(١) سيلان الجزيرة المقدسة ـ تأليف : حنفى سليمان ـ سلسلة كتب سياسية .

استقلال «سيريلانكا» لا يكون فيها رئيس الوزراء من بين أعضاء مجلس النواب أو الشيوخ ، كما أصبحت السيدة « بندرانيكة » أول زعيمة سياسية فى العالم فى العصر الحديث ، وأول امرأة تدخل عالم السياسة من أوسع أبوابه .

لقد كان اختيار السيدة « بندرانيكة » وفقاً لإرادة الشعب ، برغم أنها جاءت على أنقاض جثة زوجها القتيل . . والدليل على ذلك أنها رفضت فى بداية الأمر تولى زعامة الحزب بعد وفاة زوجها ، وفضلت الابتعاد عن الحياة السياسية التى راح ضحيتها رفيق عمرها وزوجها رئيس الوزراء السابق ، حيث اغتيل فى منزله أمام عينيها .

ولما اشتدت الانقسامات داخل حزب الحرية بعد وفاة زوجها رئيس الوزراء ورئيس الحزب ، طالب الأعضاء من جديد بضرورة تولى أرملة الزعيم الراحل زعامة الحزب ، حفاظاً على مصلحة البلاد ومصلحة الحزب ، خاصة بعدما فشل غيرها فى إعادة الهدوء إلى حزب الحرية . كان رفض السيدة « بندرانيكة » يعبر عن رغبتها فى مواصلة الطريق نحو خدمة بلادها ، ولكن فى مجال آخر ، هو المجال الاجتماعى الذى نجحت فيه من قبل ، فأنشأت الجمعيات الخيرية ، وكانت آنذاك من الأعضاء المؤسسين لجمعية المرأة السيلانية ، وقد احتفظت بهذه العضوية وهذا النشاط نحو عشرين عاماً .

وحين قبلت السيدة « بندرانيكة » تنفيذ رغبة أعضاء حزب زوجها ، ثم جماهير بلادها ، وتولت أمور الزعامة السياسية بعد تفوقها فى الانتخابات العامة ، كان عليها أن تعيد أسباب الاستقرار والهدوء بعد أن عمت الفوضى والقلاقل فى الفترة التى غابت فيها عن الساحة السياسية . وكان من أهم أهدافها السياسية إعلان الجمهورية ، ثم الاهتمام بالدين واللغة المحلية ، ثم العمل على رفع مستوى المعيشة لأبناء الشعب .

كما اهتمت الزعيمة الجديدة بتنظيم الصحافة ، وامتد نشاطها السياسى إلى

المستوى الدولى ، حيث نجحت نجاحاً باهراً فى الحفاظ على دولة « سيريلانكا » داخل الخريطة الدولية ، ومواصلة الطريق الذى سلكه غيرها منذ أن حصلت دولة «سيلان » على استقلالها عن بريطانيا فى ٤ من فبراير عام ١٩٤٨ . واستمرت «السيدة بندرانيكة » فى جهودها السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل بلادها وخارجها حتى عام ١٩٦٥ حين قدمت استقالتها من رئاسة الوزارة بعد هزيمة حزب الحرية الذى كانت ترأسه فى الانتخابات العامة أمام الحزب الوطنى الذى كان يرأسه « دولى سنيانايكة » .

وبرغم هذه الهزيمة التى أبعدتها مؤقتاً عن طريق الزعامة الجماهيرية . . فإنها احتفظت بزعامة حزب الحرية ، وانتقلت به داخل البرلمان إلى كرسى المعارضة ، وأصبحت منذ ذلك التاريخ أول زعيمة معارضة فى العالم فى العصر الحديث ، وقد كرست جهودها فى قيادة هذه المعارضة باقتدار غريب .

وبعد خمس سنوات من الكفاح السياسى داخل مجتمعها تمكنت من جديد من اعتلاء عرش بلادها سياسيًّا ، ففى عام ١٩٧٠ فاز حزب الحرية بالائتلاف مع اليسار فى الانتخابات العامة ، وحصل حزب الحرية على ١١٠ مقاعد من مجموعة مقاعد البرلمان ، واستمرت السيدة « بندرانيكة » فى هذا المنصب حتى عام ١٩٧٧ ؛ إذ اضطرت إلى التخلى عن رئاسة الوزارة ، وبالتالى تم طردها من البرلمان ، ولم يسمح لها بالاشتراك فى الحملات الانتخابية فيما بعد ، برغم احتفاظها برئاسة حزب الحرية .

وفى عام ١٩٨٠ حُرمت السيدة « بندرانيكة » من حقوقها السياسية والمدنية وفقاً لا قتراع بالأغلبية جرى فى البرلمان فى أعقاب صدور توصية بذلك من جانب لجنة رئاسية خاصة بتقصى الحقائق التى أدانتها بإساءة استخدام السلطة خلال فترة توليها الحكم من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٧ .

وفى عام ١٩٨٦ أعاد الرئيس السيريلانكى مستر « جونيوس جيورادين » كل الحقوق السياسية والمدنية للسيدة « بندرانيكة » بعدما أثبتت عدم إدانتها فى التهم الموجهة إليها من اللجنة الرئاسية السابقة .

وبعد حصولها على هذه الحقوق حاولت الرجوع من جديد إلى الملعب السياسى . فخاضت الانتخابات عام ١٩٨٨ ، ولكن نظراً لتمسكها بالأفكار اليسارية فقد فشلت فى الحصول على الأغلبية التى تؤهلها لتشكيل الوزارة ، ومن ثم حاولت إشراك ابنتها الكبرى « شندريكا » فى اللعبة السياسية من أجل مواصلة طريقها السياسى إلاَّ أنها رفضت وفضلت العيش فى لندن مع زوجها وأولادها . وبقيت السيدة « بندرانيكه » حتى كتابة هذه السطور تعيش فى « سيريلانكا » ولكن فى صفوف المعارضة ، انتظاراً لفرصة جديدة تحاول من خلالها العودة إلى الزعامة السياسية .

■■ أرملة خجول ... تدفعها الظروف لتكون زعيمة سياسية

فى شهر يناير عام ١٩٨٦ كتبت صحيفة «ستريت جورنال» الأمريكية تقول : إن « كورازون أكينو » تفتقر إلى الخبرة السياسية . . وليست لها فلسفة سياسية واقتصادية واضحة ! .

ولم تمض أسابيع على هذا التعليق حتى كانت « أكينو » أو مسز كورى تهز تلك المنطقة المتفجرة من آسيا ، بل وتهز العالم كله بانتصارها على واحدة من أعتى الديكتاتوريات الحديثة .

سقط زوجها مضرجاً فى دمائه . . قتلوه فى مطار « مانيلا » وهو عائد من المنفى، وطُويت صفحة الزعيم المعارض بالفلبين . إن « نينو أكينو » الصحفى الفلبينى الشهير اتخذ من السياسة طريقاً له بعيداً عن دروب صاحبة الجلالة . . لقد نجح وهو لا يزال فى سن الشباب ، إذ لم يكن قد تعدى الواحد والعشرين عاماً ، حين تولى منصب العمدة ، وفى سن التاسعة والعشرين أصبح أصغر حاكم إقليم فى الفلبين، ثم فى سن الرابعة والثلاثين أصبح سناتوراً بمجلس الشيوخ ، ومن بعد ذلك سلك طريق معارضة حكم الديكتاتور « ماركوس » .

ولقد ظلت أحلام زعيم المعارضة ترفرف فى الآفاق من أجل الديمقراطية والحرية التى خنقها الديكتاتور طويلاً ، ولكن هذا الحلم لم يَدُمْ طويلاً ، حيث سجنه

«ماركوس» عام ١٩٧٣ لمدة ثمانى سنوات ، تحولت خلالها زوجته إلى تلميذة فى مدرسة أفكار زوجها ، وتعلقت أكثر بأحلام الديمقراطية والحرية ، وأخذت تنادى بهما أمام أتباعه ومؤيديه . . وفى عام ١٩٨١ ، وبمناسبة زيارة بابا الفاتيكان للفلبين ، أُلغيت الأحكام العرفية ، وأفرج عن الزوج المعارض « نينو » . ولكن خرج من السجن مصاباً بمرض القلب الذى اضطره إلى السفر لأمريكا من أجل العلاج ، وهناك اختار منفاه السياسى هو وزوجته وأولاده بعيداً عن سطوة وظلم ماركوس .

وهناك فى بوسطن أمضت مسز كورى ثلاث سنوات هادئة بعيدة عن السجون والصراعات السياسية ، لكنها كانت تدرك جيداً أنها لن تستطيع العيش طويلاً بعيداً عن أرض وطنها « الفلبين » وفى ٢١ من أغسطس عام ١٩٨٣ عاد « نينو » ـ كما ذكرنا من قبل ـ ليُقتَلَ وهو يهبط سلم الطائرة ، ومات دون أن يلمس أرض الوطن .

●●●

لقد كان ماحدث عقب حادث الاغتيال مفاجأة كبرى . . فهذه السيدة المهذبة الرقيقة كخيوط الحرير التى كانت دائماً تفضل الصمت أمام الرجال ، والتى عاشت ثمانية وعشرن عاماً فى ظل زوجها مجرد ربة بيت لا تهتم بالسياسة ، وتكرس حياتها لخدمة العائلة فقط . هذه السيدة الرقيقة تغيرت تماماً بين يوم وليلة ، وبعد أن كانت خجولاً ، تحولت إلى مخلوقٍ آخر تماماً ! .

والمذهل ـ كما يقول الكاتب الصحفى نبيل زكى ـ أن حياة الترمل والازدهار السياسى بدأت فى وقت واحد ، ولم تكن بعد قد استعدت لهذا ، والظاهرة التى تثير المزيد من الدهشة هى أن المسافة الزمنية التى قطعتها كورى منذ قررت ترشيح نفسها للرئاسة حتى أصبحت « السيدة الرئيسة » ـ خمسة وخمسين مليون نسمة ـ لا تتجاوز ٧٥ يوماً !! .

« فلم تعد كورى السيدة التى اعتادت أن تقدم القهوة للضيوف » . كما قال وزير الزراعة فى حكومتها وصديق زوجها الراحل .

لقد كان الزوج المعارض « نينو » فى غمار العمل السياسى . . وهى على نقيضه . .

سيدة جميلة تقبع فى منزلها . . لا تشارك فى الاجتماعات أو المناسبات السياسية مثل زوجات الساسة الآخرين .

وكان أول احتكاك لها بالسياسة عند دخول زوجها السجن عام ١٩٧٣ ، حيث كانت تزوره ثلاث مرات أسبوعيًّا ، وعندما قرر زوجها ترشيح نفسه من داخل السجن فى الانتخابات العامة ، وجدت نفسها تتحمل أعباء كثيرة ، من بينها جمع التبرعات لأصدقاء زوجها السياسيين ، ولحملته الانتخابية . وعندما تلقت نبأ اغتيال الزوج أخذت أبناءها وعادت إلى « الفلبين » . ولم تكن تفكر فى أى شىء سوى ترتيب جنازته .

وقد اضطر الرئيس الديكتاتور « ماركوس » إلى تقديم الجنرال « فابيان » رئيس الأركان وخمسة وعشرين ضابطاً آخرين للمحاكمة بتهمة الاغتيال . وعند تبرئة المتهمين ازداد التأييد الشعبى لكورى اكينو ، ومنذ هذه اللحظة دخلت المعترك السياسى ، واستجابت لنداء الجماهير التى بدأت تهتف فى الشوارع باسمها كزعيمة شعبية . وقد اضطر ماركوس إلى إنزال الجيش لتفريق المتظاهرين ، لكن محاولاته المتعددة باءت بالفشل ، فقد تجمع فى شوارع الفلبين ملايين البشر ينادون باسمها وبالثورة على الديكتاتور ماركوس . وبرغم أن أرملة الزعيم المعارض قد أعلنت بعد هذا التأييد الشعبى الجارف أنها تود العودة إلى البيت من جديد ، فإن ٢ , ١ مليون مواطن فلبينى قد وقَّعُوا عريضة تطالبها بترشيح نفسها .

وبعد قبولها لمطالب الجماهير ، نصحها « ماركوس » أن تنصرف إلى واجباتها كامرأة لإعداد الطعام ، ولكنها مع إصرار الرغبة الجماهيرية رفضت نصيحة الديكتاتور، ومضت فى طريق الزعامة السياسية .

وأمام مليون مواطن فلبينى ، أعلنت « مسز كورى » العصيان المدنى ضد الديكتاتور ، لقد رفضت فكرة تشكيل حكومة مؤقتة ردًّا على إعلان ماركوس عن فوزه فى الانتخابات ؛ لأن ذلك يعنى ذهابها إلى الجبال أو مغادرة البلاد ، وكانت على ثقة من أن حملتها ستؤدى إلى عزل ماركوس الذى لم يبقَ أمامه سوى البقاء فى قصره المحاط بالأسلاك الشائكة .

وأبلغت « كورازون أكينو » بجانب ذلك جميع السفراء الأجانب ببلادها بأنها لن تتنازل عن حقها فى تولى رئاسة الفلبين ، وعندما أعلن نائب رئيس أركان الجيش ووزير الدفاع تمرده على ماركوس لأنه اشترك فى تزوير الانتخابات وإرادة الشعب ، وجهت « كورى » التى لم تكن آنذاك قد بلغت من العمر الثالثة والخمسين ـ وجهت نداءها الذى دَوَّى فى أركان البلاد ـ وخرج إلى العالم كله : « إننى أطالب جميع العسكريين فى سائر أنحاء الفلبين بتأييد حركة العسكريين المتمردين . . إننى أعتقد أننا نشهد قوة الشعب الفلبينى فى أفضل أحوالها » .

لقد كسبت « كورى » معركتها الأولى من أجل ثورة سلمية نادرة فى العالم ، حيث حاول ماركوس أن يضرب المتظاهرين المؤيدين لزعيم المعارضة فى الشوارع ، فتجمعت الجماهير فى الشوارع يداً واحدة تطالب بانتخابات حرة ، وعندما أُجريت هذه الانتخابات فازت « كورى » وأعلنت : « إننى لا أبحث عن السلطة ولا الشعبية . . كل ما أضعه فى اعتبارى هو واجبى تجاه وطنى . . إننى من بلد يعيش أغلب سكانه تحت مظلة الفقر المدقع ، ومعدل دخل الفرد السنوى يقل بكثير عن أى دولة آسيوية ، والبطالة منتشرة ، وتصل إل ٣٠٪ فى المدن ، بالإضافة إلى مشاكل الأقليات التى عانت منها طويلاً البلاد طوال حكم ماركوس » .

ورأت « مسز كورى » أن مشكلة المشاكل بالفلبين هى الأزمة الاقتصادية التى تشعل نار الفتنة .

وقد وفت « كورى » بوعدها ، حيث أفرجت عن أكثر من خمسمائة مسجون سياسى ، كما أنهت كل عمليات الاعتقال بدون أمر قضائى ، وأحالت ثلاثة وعشرين جنرالاً من أعوان الديكتاتور إلى التقاعد ، كما قامت بحملة واسعة النطاق من أجل استعادة الأموال الطائلة التى نهبها « ماركوس » وقام بتهريبها .

● ● ●

وبعد عام من نجاحها الساحق فى الزعامة السياسية حققت انتصارها الثانى حين دافع شعبها عن الدستور الجديد للبلاد ، وكان « ماركوس » فى منفاه يتابع نتائج هذا

الاستفتاء الذى أكد من جديد حب الشعب الفلبينى للزعيمة الجديدة والتمسك بحكمها ، ومن بعد هذه الخطوة قررت « مسز أكينو » إجراء انتخابات عامة لبرلمان جديد .

والشىء الذى يؤكد مدى تمسك الشعب الفلبينى بزعامة هذه المرأة قول الكاردينال « جاييمى » كبير أساقفة مانيلا فى نوفمبر عام ١٩٨٧ : « لولا أن الفلبين تحكمها سيدة لسقطت منذ زمن بين براثن الحرب الأهلية » .

والخلاصة أن « كورازون أكينو » سوف تدخل التاريخ ، ليست كامرأة حديدية أو حتى كصانعة للسلام فى ربوع بلادها كما تريد لنفسها ، وإنما كنموذج لحاكم حاول أن يتمرد على قواعد اللعبة السياسية الحديثة بكل مناوراتها وأساليبها الملتوية ، وكما يقول نبيل زكى : هل تنجح التجربة ؟ !

●●●

تقول الأوراق الخاصة للزعيمة الفلبينة « كورازون أكينو » إنها ولدت فى عام ١٩٣٣ فى ٢٥ من يناير ، وكانت الإبنة الرابعة وسط سبع أخوات ، ومع ذلك كانت الإبنة المفضلة لدى والدها الرجل السياسى وعضو البرلمان السيد «جوزيه كجانجكو» ، الذى تعلمت منه حب النظام ورياضة المشى ؛ ونظراً لأنها كانت تنتمى لأسرة فلبينية غنية ، حيث ينتمى أغلب أفراد العائلة إلى مُلاَّك مزارع القصب ، فقد نالت قسطاً كبيراً من التعليم ، وحصلت على درجة الدكتوراه فى اللغة الفرنسية والرياضيات من جامعة فلادلفيا ، وعندما عادت إلى بلادها تولت إدارة أملاك والدها بعد رحيله ، ولكنها سرعان ما تركت هذه الأعمال بعد أن أصبحت زوجة المعارض « نينو أكينو » الصحفى المشهور ، برغم حداثة سنه . وظلت « أكينو » الفتاة الصغيرة تساند زوجها فى الحياة العامة حتى وصلت إلى منصبها السياسى الكبير .

■■ أول رئيس وزراء لدولة إسلامية

امرأة شابة .. جميلة .. عصرية

نحن نختلف مع هؤلاء الذين يرددون أن إعدام « ذو الفقار على بوتو » . . والد الفتاة الجميلة « بنظير » هو الدافع الأساسى الذى أدى بابنته الشابة إلى أن تخوض

معترك الحياة السياسية وتدخل إلى الملعب السياسى ، وتحرز فيه كل هذا النجاح صحيح أنه قد يكون ذلك الحادث هو المؤشر الذى عجل بدخولها إلى عالم السياسة ، ولكنه ليس السبب الرئيسى ، فهناك غير هذا الحادث العديد من الأسباب فى رأينا ، يأتى فى مقدمتها إحساس الشابة الجميلة بإحساس أبناء شعبها الباكستانى الذى ظل محروماً لفترة طويلة من الحرية والديمقراطية ، امتدت أكثر من احَدَ عشر عاماً هى كل مدة حكم الحديد والنار التى اتسم بها حكم الجنرال الراحل « ضياء الحق » ، الذى جاء إلى عالم السياسة بانقلاب عسكرى قام به هو وأعوانه عام ١٩٧٧ . وثانى هذه الأسباب ربما يرجع إلى الوعود الكاذبة التى كان يطلقها من حين لآخر الحاكم العسكرى فيما يتعلق بضرورة إجراء انتخابات حرة جديدة ، ولكنه فى كل مرة بدلا من الوفاء بالوعد وإجراء هذه الانتخابات ، كان يعلن حالة الطوارىء والأحكام العرفية ، كما وضع خصومه السياسيين فى السجون ، وكان من بينهم« ذو الفقار بوتو » رئيس الوزراء الباكستانى قبيل الانقلاب ، حيث أدخله « ضياء الحق » السجن هو وعائلته وابنته الصغيرة « بنظير » والشىء المثير للدهشة أن « على بوتو » رئيس الوزراء قد راح ضحية هذه الديمقراطية التى عادت ابنته الصغيرة تبحث عنها من جديد لبعثها على أرض باكستان .

وحين نصل إلى السبب الرئيسى أو الدافع العظيم الذى أدى بهذه الفتاة إلى دخول الملعب السياسسى بهذه القوة ، نجد أنه كان ما تملكه هذه الفتاة من مقومات شخصية تتمثل فى الذكاء الحاد ، وقوة التحمل ، والجرأة والصلابة . وفوق ذلك أنها كانت تهيىء نفسها لدخول السلك الدبلوماسى لولا ظروف اعتقال أبيها ثم إعدامه .

كل هذه الاسباب تجمعت داخل الفتاة حتى كان إعدام والدها ذو الفقار . . هذا الحادث الذى كان بمثابة المحرك الأساسى الذى عجل بدخولها إلى الملعب السياسى مبكراً .

وفى عام ١٩٨٦ قررت الشابة الجميلة « بنظير بوتو » العودة إلى باكستان كى تخوض مواجهة سياسية ضد حكم الجنرال ضياء الحق ، وفضلت سلوك طريق الشرعية

السياسية من خلال حزب الشعب ، رافضة بذلك عامل الخوف الذى كان يسيطر على باكستان آنذاك خلال فترة الحكم العسكرى (إياه) ، برغم أن « بنظير بوتو » قد عاشت من قبل مرارة السجن بمفردها ، أو مع أمها وأبيها قبل إعدامه .

لقد جاء نجاحها الباهر فى تزعُّم حزب الشعب بداية ساخنةلمشوارها السياسى الطويل ، حيث جرت الانتخابات العامة فى الموعد الذى كان مقرراً لها قبيل اغتيال «ضياء الحق » والذى كان قد حدده هو نفسه ، ففى ١٦ من نوفمبر عام ١٩٨٦ أُجريت الانتخابات لاختيار أعضاء البرلمان القومى ، وعدد مقاعده ٢١٧ مقعداً ، ولكن بمشاركة جميع الأحزاب السياسية ، بما فيها حزب الشعب الذى ترأسه «بنظير بوتو » والذى يمثل العصب الرئيسى لحركة استعادة الديمقراطية . وكانت هذه أول انتخابات عامة تشهدها باكستان وتشارك فيها كل الأحزاب منذ أحَدَ عشر عاماً ! . وبرغم مشاركة أكثر من ٣٠ حزباً فى هذه الانتخابات التى شارك فيها أكثر من ١٢٧٢ مرشحاً ، منهم ٦٥٠ مرشحاً مستقلاً ، و ٦٣٣ مرشحاً حزبيًّا ، فقد انحصرت المنافسة بين حزب الشعب بزعامة «بنظير » وبين حزب التآلف الإسلامى .

وجاءت نتيجة الانتخابات كى تؤكد فوز « بنظير » ـ وكان عمرها وقتذاك خمسة وثلاثين عاماً ـ بأكبر عدد من المقاعد يحصل عليه حزب فى البرلمان . . حيث حصل على ٩٢ مقعداً ، وبهذه النتيجة المبهرة استطاعت المرأة الشابة الجميلة أن ترد اعتبار والدها ، وتصبح الوريث السياسى له ، أول سيدة تتولى الحكم فى دولة إسلامية يبلغ تعداد سكانها ١٠٤ ملايين نسمة ، كما كانت أيضا أصغر سيدة تتولى منصب رئيس الوزراء فى العالم ، ولم تكن هذه الانتخابات مجرد نجاح فردى للمرأة الشابة الجميلة ، بل كانت بمثابة رد اعتبار لكل أفراد أسرة ذو الفقار على بوتو . . حيث نجحت فيها جماهيريًّا أيضاً والدة بنظير السيدة « نصرت بوتو » البالغة من العمر واحداً وستين عاماً ، وكذلك عموها .

ومما يدل على نزاهة هذا الاختيار أن عملية الإشراف على هذه الانتخابات تولاها ٨٠ ألف شخص ، بالإضافة إلى مراقبين من بريطانيا ، ووفد يضم ٢٥عضواً من المعهد

الديمقراطى القومى الأمريكى للشئون الدولية . وجرت الانتخابات فى هدوء بدون وقوع أية أعمال للعنف .

لقد كانت هذه الانتخابات بالنسبة لبنظير بمثابة فجر للديمقراطية ، وبشير للحرية والرخاء ، وهما الأمل الحقيقى للشعب الباكستانى .

●●●

ويرى بعض المراقبين أن الحظ كان له دور كبير فى سرعة دخول رئيس وزراء باكستان الشابة الملعب السياسى ، حيث اغتيل ضياء الحق . . وكان حادث الاغتيال فرصة طيبة لعودة الديمقراطية بسرعة ، وبصورة غير مزيفة لربوع باكستان ، وخلال الفترة الانتقالية فترة فراغ السلطة بعد حادث الاغتيال، قامت المحكمة العليا فى باكستان بالحكم لصالح إجراء انتخابات عامة تشارك فيها كل الأحزاب فى ٢ أكتوبر عام ١٩٨٨ .

وكانت « بنظير بوتو » قد قررت قبل دخولها الحياة السياسية بعام واحد أن تتزوج من رجل أعمال باكستانى ، وأنجبت منه طفلاً ، وأثناء فترة الحمل قادت حملتها الانتخابية ، ويرى المراقبون أن هذا الحمل كان جزءاً من المعركة السياسية التى خاضتها « بنظير » فى هذه الانتخابات ، فقد كانت على اقتناع بأن ضياء الحق سوف يدعو إلى انتخابات عامة إذا ما اعتقد أنها ستكون مشغولة بأمور خاصة ، مثل الحمل والزواج ، حتى يكون ذلك دافعاً لديه لإبعادها عن هذه الانتخابات ، وعندما اكتشفت «بنظير» أنها حامل تعمدت عدم الإفصاح عن موعد الوضع الذى حسبت له شهر نوفمبر أو يناير عام ١٩٨٩ ؛ لأنها كانت تريد أن تخدع ضياء الحق ، الذى سارع بالدعوة لإرجاء الانتخابات العامة وفقاً لتقديراته ، على أساس أن بنظير ستضع مولودها فى نوفمبر .

●●●

لقد كانت السيدة « بنظير بوتو » رئيس وزراء أكبر دولة إسلامة ـ امرأة عصرية بالمعنى الصحيح ـ إذ تلقت تعلميها فى كل من انجلتر وأمريكا بعدما فرغت من تعلميها الأساسى فى باكستان . . وقد ولدت « بنظير بوتو » فى ٢١ من يوليو عام

١٩٥٣ . . واستمرت خارج باكستان من أجل تحصيل العلم فى الفترة من ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٣ ، وكان أغلبها فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أما فى انجلترا فقد التحقت بجامعة أكسفورد فى الفترة من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٧ . وخلال هذه السنوات حصلت سيدة باكستان الأولى على ليسانس الحقوق فى الفلسفة والاقتصاد والعلوم السياسية ، كما أنهت دورة خاصة فى القانون الدولى والدبلوماسى من جامعة اكسفورد، وكانت تعد نفسها للالتحاق بالسلك الدبلوماسى لولا ظروف اعتقال والدها وإعدامه . وبرغم هذه العصرية التى اتسمت بها فى حياتها وفى طريق تربيتها فإنها رضخت لرغبة أسرتها وتزوجت بالطريقة التقلدية .

وبعد عشرين شهراً فقط من تولى « بنظير » الزعامة السياسية ، فى باكستان ، لم تستطع مواصلة الطريق الشائك داخل الملعب السياسى ، فاضطرت إلى ترك مقعد رئاسة الوزراء بعد أن أقالها الرئيس الباكستانى « غلام إسحاق فى السادس من شهر أغسطس عام ١٩٩٠ ، حيث أمر بحل البرلمان . وقالت المصادر القريبة من مجلس الوزراء الباكستانى : إن « بنظير لم تعلم بقرار الإقالة إلا قبل ساعة من صدوره .

وقد رأت « بنظير » إن السبب الرئيسى وراء إقالتها إنما يرجع إلى سطوة رجال الجيش ، إلا أن المراقبين السياسيين رأوا أنَّ السبب الرئيس وراء أُفول نجمها السياسى بهذه السرعة هو الزواج والمعارضة ، بالإضافة إلى اعتمادها على أهل الثقة وإبعاد أهل الخبرة ، وقد يرجع ذلك فى نظر البعض إلى قلة خبرتها السياسية ؛ حيث لم تكن قد بلغت بعد سن السابعة والثلاثين من عمرها، هذه الخبرة القليلة أدت بالحكومة المؤقتة التى شكلت عقب إقالتها إلى توجيه الفساد السياسى إليها الأمر الذى سيجعلها محرومة من ممارسة حقها فى الانتخابات القادمة .

غير أن الكاتبة والأديبة الباكستانية « كينزى مراد » صديقة « بنظير » قالت تدافع عنها : إن إبعاد رئيس وزراء باكستان عن كرسى الحكم لا يعنى أفول نجمها السياسى، وإنما قد توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية هى وزوجها من أجل إعادة بناء مستقبلها السياسى ، وترتيب أوراقها من جديد داخل الملعب السياسى .

■■امرأتان : إحداهما زعيمة الأغلبية ..
والثانية فى مقعد المعارضة

وسط الصراعات السياسية والفشل الذريع الذى يُوَاجَهُ به الرجل العسكرى دائماً كلما تقدم خطوة داخل الملعب السياسى ، تظهر المرأة على السطح كمنقذ له من فشله، من أجل إعادة الروح والديمقراطية والحرية لهذا البلد أو ذاك . . حدث ذلك فى أكثر من دولة فى مختلف قارات العالم ، لكنه ظهر بصورة أكثر وضوحاً فى بعض الدول الآسيوية ، حيث لعبت فيه المرأة دوراً سياسيًّا هامًّا ، واستطاعت أن تعبر بهذه الدول وسط بركان الأزمات إلى بر الأمان .

وخير ما ينطبق عليه هذا الحديث هو دولة بنجلاديش ، حيث عاشت تجربة سياسية فريدة فى نوعها طرفاها امرأتان : إحداهما فى مقعد رئاسة الوزراء ، والثانية فى مقعد المعارضة ، وكلتاهما تعملان معاً من أجل الإطاحة بالحكم العسكرى واستعادة الديمقراطية المفقودة ؛ إذ اكتشفتا أن ضباط الجيش وراء كل ما وقع لهذا البلد من ديكتاتورية وعدم استقرار.

●●●

لقد ظلت بنجلاديش منذ نشأتها عام ١٩٧١ بعد حرب الهند وباكستان التى أسفرت عن انقسام دولة باكستان الكبرى إلى دولتين ـ اختارت باكستان الشرقية اسم بنجلاديش ـ هذه الدولة لم تعرف منذ هذا التاريخ انتقالا سلميًّا أو مدنياً للسلطة ، وإنما كان الحكام يتركون مقعد السلطة فى مشهد مروع ؛ ولذلك شهدت بنجلاديش أحد عشر رئيساً للدولة خلال عمرها الذى لم يتجاوز عشرين عاماً فقط ، سارت خلالها على طريق مفروش بالدماء والأشواك ، وكان آخر الحاصدين لهذه الأشواك الرئيس السابق « حسين إرشاد » الذى سار على طريق الديكتاتورية والتسلط ومصادرة الحريات .

وقد ظل هذا الوضع المتردى حتى برزت الزعامات السياسية التى أسهمت فى تأسيس أحزاب سياسية تطالب بحياة ديمقراطية حقيقية . وعندما يتطرق الحديث عن

تلك الزعامات فلابد أن تتصدر الزعيمتان : الشيخة « حسينة » والبيجوم « خالدة ضياء » المقدمة ؛ إذ تولدت زعامتهما السياسية فى قلب تلك الصراعات التى عصفت بالبلاد ، ومع تطورات الأحداث المتلاحقة التى ألَمَّتْ بها .

●●●

إن الشيخة حسينة واجد ، هى ابنة الشيخ مجيب الرحمن ، مؤسس دولة بنجلاديش الذى لقى مصرعه عام ١٩٧٥ فى مشهد مروع على أيدى صغار ضباط الجيش فى بلاده ، ومن يومها أحست الشيخة حسينة بمرارة عميقة إزاء الجيش بشكل عام ، وعزمت على إقصاء هذه المؤسسة عن الحياة السياسية . . أما البيجوم خالدة ضياء الرحمن ـ الذى جاء والدها إلى السلطة فى انقلاب عسكرى ، باعتباره واحداً من ضباط الجيش ، غير أنه لقى مصرعه أيضاً على أيدى رجال الجيش فى عام ١٩٨١ ـ فقد تزعمت تحالف المعارضة الذى يضم ثمانية أحزاب ، وكان هدفها هى الأخرى العمل من أجل عودة الحكم المدنى وإنهاء الحكم العسكرى ، وتوسيع قاعدة الديمقراطية والحريات العامة .

وبرغم اختلاف طريق كُلٍّ من السيدتين حسينة وخالدة داخل الملعب السياسى ، فإنهما وحدتا الهدف منذ بداية النضال السياسى من أجل القضاء على الديكتاتورية ، برغم ما اعترض طريقهما من صعاب .

ولقد بدأ النضال السياسى الفعلى لكل منهما منذ وصول الرئيس « حسين إرشاد » إلى السلطة عام ١٩٨٢ بانقلاب عسكرى ، وظل يحكم البلاد بالحديد والنار حتى عام ١٩٨٦ بالإضافة إلى فرض الأحكام العرفية واستخدام قانون الطوارىء .

وبرغم أن بعض المراقبين السياسيين رأوا نجاح « حسين إرشاد » فى إعادة الاستقرار النسبى إلى بنجلاديش بعد صراعات طويلة ودامية ، فإن تمسكه بالحكم العسكرى وعدم إطلاقه سراح السياسيين من رجال المعارضة المناهضة لحكمه . . كان سبباً فى تزايد حركة المد الشعبى والمعارضة المناهضة له . وجعلت كل من المرأتين «حسينة » « وخالدة » نصب أعينها مطلباً واحداً ، هو إبعاد الحاكم العسكرى إرشاد

عن السلطة وإجراء انتخابات حرة ديمقراطية يتنافس فيها بنزاهة مائة حزب سياسى يمثلون ١١٠ ملايين نسمة .

ولم يستجب « حسين إرشاد » لهذه المطالب التى أصبحت شعبية ، وكانت النتيجة المحتومة هى الوصول إلى صدام عنيف مع المعارضة والفئات الوطنية المختلفة ، ليس هذا فحسب ، بل قام حسين إرشاد باعتقال المرأتين أكثر من مرة ، ثم كان يطلق سراحهما تحت ضغط المظاهرات والرفض الشعبى . ولكى يمتص إرشاد غضب المعارضة والإرادة الشعبية ، أعلن عن إجراء انتخابات عامة تحت إلحاح المرأتين ، لكن وفقاً لشروطه هو !! غير أن أحزاب المعارضة رفضت المشاركة فى هذه الانتخابات ، وقد وجدت دعاوى المقاطعة بالفعل استجابات واسعة من القطاعات المهنية المختلفة ، ولم يستوعب إرشاد الدرس ، وظل متعلقاً بالسلطة برغم تزايد الغضب الشعبى الذى تقوده المرأتان حسينة وخالدة .

هذا الرفض والعناد ظل مستمرًا من جانب الرئيس إرشاد ، حتى بدأت أحزاب المعارضة حملة جديدة للإضراب على المستوى القومى ، شارك فيه الأطباء وكل فئات الشعب ، وقادت المرأتان هذه الفئات حيث نجح الإضراب العام الذى قضى على حكم الرئيس إرشاد الذى أخطأ الخطأ التاريخى الذى وقع فيه الكثير من حكام العالم الثالث، فبدلاً من الاستجابة للمطالب الشعبية بزيادة الديمقراطية لجأ إلى فرض مزيد من الطوارىء والأحكام العرفية وتقييد الحريات ، فربما تنقذه من هذا التيار الشعبى الجارف . ولما فشلت هذه الجهود استقال حسين إرشاد تحت وطأة الضغط الشعبى الجارف الذى تمثل فى خروج الملايين إلى الشوارع يحتفلون بهذا النصر الكبير .

وبعد رحيل الديكتاتور ، شهدت بنجلاديش صراعاً سياسيًّا من نوع جديد ـ إنه صراع بين امرأتين ـ إحداهما تحاول الوثوب إلى السطة ، والأخرى تحاول اللحاق بها . هكذا كانت الديمقراطية التى تحققت فى بنجلاديش أخيراً ، وفازت فيه بعد صراع سياسى شريف الشيخة خالدة ضياء بمقعد الرئاسة . . وفازت زميلتها فى الكفاح بمقعد المعارضة .

عندما دخلت المرأتان الانتخابات العامة . افترقتا فى طريقين مختلفين : ففى خلال الحملة الانتخابية دخلتا السباق من أجل الفوز بأصوات الجماهير وقلوبها ، ولم يخل الأمر فى بلد فيه نسبة الأمية ٧٥٪ من معارك بالرصاص بين أنصار هاتين المرأتين اللتين قادتا ملايين الرجال ، وفى هذه الحملات سقط عدد من القتلى وأُصيب المئات ، وشبت الحرائق فى الصدور ! .

وعندما أُعلنت النتائج وفاز الحزب الوطنى البنغالى برئاسة الشيخة خالدة بـ ١٤٠ مقعداً من مقاعد البرلمان ـ البالغ عددها ٣٠٠ مقعد ـ أصبح حزب الأغلبية النسبية ، فى حين لم يفز حزب رابطة عوامى الذى ترأسه الشيخة حسينة إلاَّ بـ ٨٤ مقعداً فقط .

وبعد نجاح المرأتين فى هذه المعركة السياسية بات أمامهما الكثير من المشاكل المتراكمة ، حيث اتفق أكثر المراقبين على تسمية بنجلاديش ببلد الكوارث ؛ إذ تعتمد هذه الدولة أساساً على المساعدات الخارجية بجانب أنها بلد الكوارث الطبيعية ، ففى عام ١٩٨٨ أدت الفيضانات إلى مصرع ٥ آلاف شخص ، وتشريد ٢٥ مليون نسمة وفى عام ١٩٩١ أدت الفيضانات إلى مقتل أكثر من ١٥٠ ألف نسمة . وقد تُبْتَلَى بالجفاف أحياناً ؛ وقد أصابتها سبعة أعاصير من أقوى عشرة أعاصير فى العالم . ويكفى لتوضيح ملامح هذه الكوارث أن تعرف أن الفئران تلتهم ١٢٤ مليون طن من المحاصيل سنويًّا !! .

وبجانب ذلك فإن موقع بنجلاديش وضع سكان هذا البلد فى مأزق آخر ، فهو بلد صغير المساحة ، وقليل السكان نسبيًّا ، وكل من الهند وباكستان يتربص بالدولة الوليدة ، إما بالرغبة فى ابتلاعها أو محاولة احتوائها . فقد كان انفصالها عن باكستان جرحاً غائراً فى الضمير الباكستانى عام ١٩٧١ ؛ لأنها كانت بدورها حديثة الاستقلال عن الهند . إن هذا بالضبط هو قدر المرأتين سواء فى مقعد الأغلبية أو فى مقعد المعارضة .

■■ أم الشعب التى ساهمت بقوة فى إسقاط العنصرية فى إفريقيا

رغم أن « وينى » مانديلا أو « نو مزامو » . . تلك الفتاة السمراء التى ولدت

بإحدى قرى جنوب إفريقيا لأبوين فقيرين من السود ، بدأت حياتها السياسية من خلف ظهر المناضل السياسى الإفريقى الكبير نيلسون مانديلا زعيم حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى ، والذى التقى بها لأول مرة فى عام ١٩٥٧ ولم تكن قد بلغت من العمر سوى ٢٣ عاماً . . إلا أنها استطاعت كامرأة أن تكمل مشوار حياتها السياسى منفردة فى غياب هذا المناضل الذى تزوجها ثم دخل السجن ، وباتت وحدها من بعده داخل الملعب السياسى الكبير وداخل أروقة حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى أو حزب مانديلا أيضا . هذا المشوار الذى امتد لأكثر من ٣٤ عاماً ، لم تتخل خلالها عن زوجها ومعلمها السياسى مانديلا وهو سجين لمدة ٢٧ عاماً .

وقد انتهى مشوار حياة هذه المناضلة السياسية بنصر سياسى كبير تجلى فى انتهاء مشكلة التفرقة العنصرية . . وانتصار السود فى جنوب أفريقيا على يد هذه المرأة وعلى يد زوجها الذى انتخب كأول رئيس أسود لبلاده التى ظلت أعواماً طويلة حكراً سياسياً على الجنس الأبيض فقط ! وكان بذلك أول زعيم سياسى وأول رئيس حزب كبير يفوز بالزعامة وبالرئاسة وبجواره زوجته ورفيقة حياته ونائب حزبه الذى قاد هذه المعركة الشرسة وذلك فى ظل الشرعية الدستورية التى تخللتها أزمات عديدة تجلت فى تجارب السجن العديدة التى ذاقتها السياسية وينى مانديلا أو زوجها نيلسون .

لقد كان هدف « وينى » الأول والأخير حتى فى ظل هذه الصعوبات هو القضاء على التفرقة العنصرية والانتصار لشعبها الأسود الذى عاش طويلاً تحت سيطرة الرجل الأبيض من غير أصحاب بلادها أو سكانها .

ولن يضير كفاح هذه السيدة أو يقلل من شأن مشوارها السياس الطويل ما تردد عن أسباب انفصالها عن زوجها مانديلا . . وقد أطلق عليها رجال الصحافة بعد وقوع حادث انفصالها عن زوجها « إنها المناضلة السياسية التى شاركت فى إسقاط العنصرية ، ولكنها للأسف سقطت بأيدى البلطجية » إنها قصة كفاح طويلة لإمرأة داخل الملعب السياسى الأفريقى تستحق أن نلم ببعض تفاصيلها باعتبارها تمثل نموذجاً لكفاح المرأة سياسياً فى قارة إفريقيا ، وننتظر أن يتكرر هذا النموذج حتى ولو اختلف فى الشكل أو المضمون .

ولقد علق العديد من المحللين السياسيين كثيراً على حادث طلاق « وينى من نيلسون ، وقالوا إن هذا الطلاق سوف يؤدى إلى نهايةحياتها السياسية . . وعلى مرور الأيام خابت كل هذه التعليقات . . فقد تصوروا أن طلاقها رسمياً فى عام ١٩٩٢ من الزعيم نيلسون مانديلا قد أفقدها الأمل فى خلافة هذا الزعيم فى زعامة حزب المؤتمر الوطنى . ومما أكد عدم صدق التوقعات أن المناضلة السياسية « وينى » قد أعلنت بعد حدوث هذا الطلاق بأنها لن تستسلم وسوف تواصل مشوارها السياسى بقوة . وهى تسعى فى هذا الإطار إلى تكوين حزب جديد بزعامتها يحمل اسم « حزب الشعب » . ليس هذا فقط . . بل أكد العديد من أنصارها داخل حزب المؤتمر نفسه بأنها سوف تصل يوماً ما إلى منصب رئاسة دولة جنوب إفريقيا عبر بوابة المشاكل الاقتصادية لهذا البلد ، حيث ما زالت البطالة هناك تتراوح ما بين ٣٠٪ إلى ٥٠٪ .

وهذه المرأة . . خلال رحلتها السياسية الطويلة والمستمرة حتى الآن لم تكتف بأن تكون زوجة لزعيم سياسى كبيرة وقفت بجواره . . بل وساهمت فى استكمال مشواره السياسى أثناء غيابه فى السجون ، وإنما مارست حياة سياسية علنية خاصة بها استهدفت تحقيق أحلامها فى القضاء على العنصرية ونصرة شعبها الأسود ، وقد تحقق لها ذلك حتى من بعد فوز زوجها بمنصب الرئاسة إذ تقلدت عدة مناصب سياسية بعضها رسمى وبعضها شعبى . . وللأسف لم تستمر طويلا فى هذه المناصب خاصة الرسمية منها . .

ويبدو أن المنافسة السياسية الشرسة بينها وبين زوجها مانديلا كانت السبب الرئيسى فى عدم نجاحها فى هذا الاستمرار ، بدليل ما أشيع من أن علاقاتهما السياسية بعد الطلاق الرسمى قد شهدت توتراً ومواجهة حادة . . حيث اتهمت « وينى » الرئيس مانديلا وحكومته بأنهما لم يفعلا شيئاً لتلبية تطلعات السود ، وأن مانديلا حريص على تهدئة مخاوف البيض والحفاظ على مكاسبهم .

ووصل الخلاف السياسى بين الزوجين المنفصلين ذروته فى توجيه هذه الانتقادات علناً بالرغم من أنها أى « وينى » مانديلا كانت فى الوقت نفسه نائب وزير الثقافة والعلوم والتكولوجيا . . مما اضطر مانديلا إلى طردها من منصبها .

وأما على المستوى الشخصى فإن العلاقة الزوجية مثلما أعلن ذلك مانديلا نفسه فى المحكمة . قد انتهت منذ فترة طويلة ، ولم يكن هناك أى اتصال بينهما مثلما يحدث بين أى زوجين . . وذلك منذ خروجه من السجن !! .

●●●

« ووينى مانديلا » اسمها بالكامل « نومزامو دنييز ما ديكيليزا » ونومزامو بلغة «بانتو» تعنى المناضلة . . وقد ولدت فى قرية « ترانسكاى » بجنوب إفريقيا ـ لأبوين فقيرين يعملان بالتدريس ـ وكانت أصغر إخوتها الخمسة وتلقت تعليمها الابتدائى ثم واصلت مشوار تعليمها حتى نجحت بنبوغ فى كل مراحل التعليم . وفى السادسة عشرة من عمرها انتقلت إلى مدينة جوها نسبرج لتكمل دراساتها وبالتالى تخرجت وتم تعيينها كأول مشرفة اجتماعية من السود .

هذا ما كتبه عنها المؤرخون . . أما هى فقد ذكرت فى «سيرتها الذاتية » التى صدرت فى كتاب فى عام ١٩٧٧ باللغة الانجليزية تحت عنوان «جزء من روحى » ونشرت هنا فى مصر بعض أجزاء هذه السيرة بدءاً من عام ١٩٨٦ حيث قالت : « لا يزال مسقط رأسى فى «بوندولاند » قبلياً تماماً حيث لا يزال رجال القبائل يجتمعون فى التلال . . التحقت بمدرسة ريفية . . لكن وعيى السياسى فى تلك الفترة كان لا يزال مبهجاً . كان أبى مدرساً للتاريخ فى خدمة الحكومة وكان متوقعاً أن يصبح زعيماً لقبيلته لكنه رفض ذلك المنصب . أما والدتى فكانت مدرسة علوم منزلية وشديدة التعصب من الناحية الدينية» .

وكما ذكرت فى أوراقها الخاصة وأكده العديد من المحللين السياسيين فقد كان حلمها منذ صغرها تحقيق المساواة مع البيض ومحاربة التفرقة العنصرية . ومع بداية حياتها السياسية ، استمرت تخوض معركة النضال من أجل تحقيق هذا الحلم مع أبناء شعب جنوب إفريقيا . وكان الهدف نفسه هو الأرض الخصبة التى التقت فوقها مع زعيمها وزوجها نيلسون مانديلا .

ففى عام ١٩٥٧ وحين كانت تعمل فى إحدى المستشفيات بإحدى ضواحى

«سويتو» . . ولم تكن قد بلغت من العمر سوى ٢٣ عاماً ، إلتقت بالمناضل مانديلا الذى كان يعمل فى ذلك الوقت محامياً يدافع عن قضايا السود . . وكان عمره آنذاك ٤٠ عاماً ، كما كان أيضا من أبرز شخصيات حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى .

أما أول اتصال حقيقى بين مانديلا وبين «وينى» فقد بدأ عندما طلب مانديلا من هذه الفتاة أن تشاركه فى حملة جمع الأموال من أجل قضية سياسية متهم فيها بعض الزعماء السياسيين . . ساعتها اكتشف مانديلا العديد من المواصفات التى أحبها فى هذه الفتاة خاصة ميلها الشديد للنضال من أجل القضاء على التفرقة العنصرية على نفس مبادىء حزبه . .

إلى جانب ذلك اكتشف فيها فتاة الأحلام التى يتمناها . . وقد كان فطلق زوجته وتزوج من « وينى » فى عام ١٩٥٨ . وكان زواجها هو بداية جادة لكفاحها السياسى الذى استمرت فيه إلى جانب مانديلا حتى عام ١٩٩٢ . وقد تخلله العديد من المواقف الشجاعة التى تحملتها السياسية المناضلة وينى فى غياب زوجها مانديلا الذى قضى فى السجن حوالى ٢٧ عاماً .

لقد عاشت هذه المرأة مع طفلتيها «زينى وزيندزى» ، وكان عليها فى الفترة نفسها أن تتحمل مسئولية رعاية الطفلتين ومواصلة طريق كفاحها السياسى سواء داخل حزب المؤتمر أو داخل المجتمع من أجل محاربة العنصرية . . وقد لاقت فى هذه المسيرة الطويلة مشقات وصعاب عديدة حيث قررت السلطات العنصرية فى جنوب إفريقيا تحديد إقامتها فى بلدة أورلاندو . . ورغم ذلك لم تستسلم لرغبات الحكومة ولم تبال بقرار تحديد إقامتها ، فكانت تخرج من منزلها وتسعى لاستكمال مسيرة ما نديلا فى الخفاء ، كما تعرضت للسجن أكثر من مرة ، وكانت تعتقل لعدة أسابيع ثم تخرج فتشارك فى أنشطة معادية للعنصرية .

ويجمع المحللون السياسيون أن بداية سجن مانديلا فى عام ١٩٦٢ كان بمثابة مرحلة جديدة وهامة فى حياة وينى . . حيث بدأت تنضج سياسياً وتشعر بأن عليها أن تؤدى رسالة وطنية نحو أبناء مجتمعها المقهور . . وأثناء مشوار حياتها السياسى

الطويل الذى خاضت معظمه بمفردها واستطاعت أن توصل صوتها وصوت شعبها إلى العالم كله مما جعلها تكسب رأياً عاماً عالياً فى صالح قضية التفرقة العنصرية ، وجاءت اللحظة الحاسمة فى تاريخ هذه المرأة خاصة فى اتجاه الرأى العام العالمى . . ففى عام ١٩٧٧ كانت السلطات العنصرية قد بدأت تشعر بأن هذه المرأة الجبارة أصبحت تمثل كابوساً مزعجاً للنظام فأجبروها بالقوة على مغادرة بلدتها « سويتو » . . واختاروا لها منفاً جديداً فى قرية نائية هى « براند فورت » بولاية أورانج وهناك اضطرت «وينى» إلى السكن فى منطقة السود فى بيت صغير بلا ماء أو كهرباء .

ورغم ذلك فقد تحولت هذه المرأة أشبه بأسطورة فى مجال النضال والكفاح ضد التفرقة العنصرية ، بل تحولت فى الوقت نفسه إلى بطلة شعبية لكل السود ! . من هنا أصبحت حديث معظم صحف العالم .

ومع بداية الثمانينيات حاول النظام العنصرى مرة أخرى أن يقضى على هذه المرأة السياسية فلجأوا إلى تشويه صورتها للقضاء على نجوميتها السياسية المتألقة فراحوا يروجون الشائعات التى تقول إن «وينى» تعيش وسط الشباب فى غياب زوجها ! . لكنها مع ذلك لم تخضع . . بل ثبت لكل السود فى مجتمعها وفى خارج مجتمعها أن ما يتردد محاولات مغرضة من جانب السلطات العنصرية لتشويه صورتها .

وقد ردت المناضلة «وينى» بقوة على هذه الشائعات حين تحدت هذه السلطات وقررت إلغاء قرار تحديد إقامتها فى المنفى ، ثم عادت على الفور إلى بلدتها « سويتو» ، كما ظهرت فى الشوارع والميادين العامة فى مدينة جوهانسبرج .

وفى عام ١٩٨٥ وبمجرد أن عرفت السلطات الحكومية بقرار عودتها اقتحمت الشرطة منزلها وفى وجود مجموعة من المراسلين الأجانب تم سحبها بالقوة بعد تهديدها بالسلاح ، مما جعلها تصاب فى قدمها عندما وقعت على الأرض ، فطار الخبر فى كل أنحاء الدنيا فتكررت صيحات العالم كله ضد التفرقة العنصرية . كما اتجهت إليها أنظار كل وسائل الإعلام العالمية وبالتالى أصبحت اللسان السليط الذى يقصم ممارسات التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا .

وإزاء هذا الضغط العالمى اضطرت سلطات جنوب إفريقيا للإفراج عنها . وبعد الإفراج بدأت رحلة جديدة فى مشوار « وينى » السياسى الطويل ، فقامت بتأسيس عدة لجان ومؤسسات شعبية من أجل السود . وكان من أبرزها تكوين فريق لكرة القدم من الشباب السود الموالين لحزب المؤتمر وزوجها نيلسون مانديلا ! .

ليس هذا فقط . . بل بدأت « وينى » فى الفترة نفسها تميل إلى العنف فى سلوكياتها العامة وأصبح يسيطر عليها مشاعر الانتقام والتخلص من خصومها . لذلك وفى عام ١٩٨٩ صدر حكم بسجنها لمدة ٦ سنوات بتهمة اختطاف وقتل صبى لم يبلغ عمره ١٥ عاماً ! فاستأنفت وينى الحكم ، وجاء حكم الاستئناف مخففاً بعد أن مكثت فى السجن عامين ! . وصدر حكم المحكمة الجديد بأن تدفع «وينى» ٥ آلاف دولار والسجن لمدة عامين مع إيقاف التنفيذ فنجت من السجن وخرجت للنضال من جديد .

وفى عام١٩٩٠ خرج زوجها الزعيم مانديلا من السجن بعد ٢٧ عاماً ، وكان العالم كله تتجه أنظاره إلى جنوب إفريقيا وهو يتابع الملايين الغفيرة من السود وهى تستقبل الزعيم مانديلا رمز الحرية والنضال . . وكان يقف وراء هذا الاستقبال الكبير السياسية المناضلة وينى مانديلا ، نائب حزب المؤتمر الأفريقى الوطنى .

ولم تنس «وينى» أن تعطى القارىء فكرة عن عملها السياسى فى مذكراتها الخاصة فقالت : « فى المدرسة الثانوية بدأت علاقتنا بالصراع السياسى إذ كان بعض مدرسينا ينتمون « لجمعية إفريقيا الشابة الملتحمة بالجماهير . . ثم فى عام ١٩٥٢ سمعنا عن «حملة التحدى » حيث رفض آلاف من الشعب إطاعة القوانين العنصرية ، ثم فى عام ١٩٥٣ حينما جئت إلى « جوها نسبرج» . . حضرت اجتماعات « حزب المؤتمر » . . وكان نيلسون ما نديلا هو رائد مدرستنا . وكان شعار المدرسة فى حقل العمل الاجتماعى هو « كون نفسك بقولها وفى فقرة أخرى من هذه المذكرات تكمل الحديث عن مشوارها السياسى خاصة بعد الزواج من مانديلا بقولها : « لقد ظلت حياتنا كعائلة مثل لقائى به غير عادية ، فى كل صباح يذهب نيلسون إلى المحكمة فى بريتوريا وأنا أغادر منزلنا فى مدينة أورلاند . . ويظل معظم الوقت فى بريتوريا حيث يعد

الدفاع مع فريق كبير من المحامين ، وعندما يعود يعقد اجتماعات مع أعضاء « المؤتمر القومى الإفريقى » الذى بدأحملة التحدى منذ عام ١٩٥٢ ، ويعتمد برنامجه على سياسة عدم العنف » .[١]

ونختتم هذه الإطلالة السياسية بحديث وينى عن رفيقاتها السياسيات وقد ذكرتهن فى أوراقها فقالت : « كان لأصدقاء نيلسون تأثير سياسى علىّ . . فقد قضيت معظم وقتى مع نساء عظيمات مثل . «ليليان نوجوى» التى أكن لها إعجاباً شديداً ، إذ شاركت فى تكوينى السياسى إلى حد أننى أعتبرها مثالاً أحتذى به . . أما النساء اللائى كن قريبات من نيلسون وعلمتنى الكثير حيث كنت أراهن يومياً ، وكن بمثابة امتداد لنيلسون فى رئاسة الاتحاد النسائى لجنوب إفريقيا فهن : «البريتنا سسوتو» وروث مومباثى » و « هيلدا برنشتين وفلورنس ما توميلا » . . وكلهن على قمة « المؤتمر القومى الإفريقى » . . وأكن لهن إعجاباً شديداً وتعلمت منهن كافة أبعاد القضية ، وعلى رأس هؤلاء « هيلين جوزيف » . . التى أعدها كوالدتى تماما ليس من الناحية السياسية فقط ولكن على الصعيد الإنسانى » .

---

(١) جزء من روحى ـ ودينى مانديلامذكرات خاصة

(1) Winne MaNDELA- Part of msoul .